المرأة في السياسة بين الأمس واليوم

احلام بيضون

دور المرأة السياسي يختلف بل يزيد عن حقوق المرأة البديهية الاقتصادية والاجتماعية والشخصية والإنسانية وإن كانت كل هذه الحقوق تتداخل وتتماسك لتكون كلا منسجما يتمثل بالتعامل مع المرأة كقيمة فاعلة تؤثر وتتأثر بما حولها .

الفرق بين تعبيري سياسة وسلطة :

وموضوع المرأة في السياسة بين الأمس واليوم يقودنا حتما إلى تحديد تعبير «سياسة» الذي نستخدمه، فكلمة «سياسة» في اللغة الأجنبية (Politique ou politic) مشتقة من كلمة (polir) أي صقل وهذب والمقصود تهذيب الإنسان أو الشيء ويترادف ذلك مع اللفظ المستخدم بالعربية أي «السياسة» ومعناها تنظيم الشيء أو الأمر أو المجتمع وإتيان المسائل بالحسنى. أما «السلطة (pouvoir ou power) «فمعناها الأجنبي يفسر إلى العربية بالقدرة والسلطان بينما تعني بالعربية «السلطة» أو «الشدة» أو «طيلة اللسان» فنقول لسان سليط (المنجد في اللغة والأعلام). من هنا نأمل أن يكون اختيار تعبير المرأة في السياسة... وليس المرأة في السلطة... موفقاً في ما خص موضوع المرأة بالذات وذلك للاعتبارات التالية :

ـ أولا لأنّ المرأة ليست في السلطة فعلا وهي أيضا ليست في السياسة حتما. غير أن السياسة لها أبواب كثيرة تنفذ على مجالات مختلفة بينما السلطة تنفذ على مهارب كثيرة لا يمكن إحصاؤها. انطلاقا من هنا يمكن أن نجد المرأة في السياسة نافذة على ميادين مختلفة بما فيها السلطة .

ـ ثانيا، أن تكون المرأة في مركز القرار وتؤثر في مصير البلد أو المؤسسة التي تتولى أمر القيادة فيها، فهذا يعني حسب ما نقصد أن تكون المرأة فاعلة متميزة بالكفاءة والأهلية وحسن الأداء وأن تظهر مباشرة على الساحة السياسية وليس من وراء الكواليس .

ـ ثالثا، لا نظن أن المرأة قد غابت يوما عن التأثير في السلطة، والمقصود أن المرأة سواء كانت أما أو أختا أو زوجة أو ابنة هي تؤثر بابنها وزوجها وأخيها وأبيها ويمكن أن يكون هذا التأثير سلبا أو إيجابا حسب طبيعة المرأة وما تتميز به من صفات وثقافة واهتمام بالشأن العام أو من سطحية وانكفاء عن التعاطي بالأمور العامة .

ـ رابعا، إن المرأة المغيبة عن التأثير بالقرار هي المرأة التي لم يتسن لها أن تكون قريبة أحد أو مقربة من أحد أهل السلطة أي كل النساء الباقيات غير اللاتي ذكرنا. وهؤلاء النساء هن المقصودات بالموضوع الذي بين أيدينا .

ـ خامسا، ليس المقصود من إشراك المرأة في القرار الوطني إشراك أي امرأة بل المقصود إشراك أولئك اللاتي يتمتعن بالمؤهلات التي تخولهن تحمل المسؤوليات .

من هذا المنطلق فموضوع المرأة في السياسة بين الأمس واليوم يرمي إلى استحضار الماضي لعلنا نجد فيه ما يغبطنا أو يعوض على المرأة ما تشكو منه من تهميش في ما يتعلق بإدارة الشأن العام ووضع السياسة العامة التي تحكم مصير المواطنين من رجال ونساء .

المرأة بالأمس :

إن العودة إلى الأمس السحيق لا تنبئنا بالكثير من الأخبار السارة عن المرأة وموقعها المؤثر في السلطة والسياسة وإدارة الحكم أيا يكن المكان سواء في الصين أو في الهند أو في أميركا أو أوروبا أو أفريقيا أو عند العرب القدماء أو اليونان أو الفرس أو البابليين إلى آخر ما هناك من شعوب وأقوام باستثناء ربما الفراعنة والكنعانيين حسب رأي المؤرخ يوسف الحوراني. فالآثار المصرية تظهر الملكة دوما إلى جانب زوجها الملك وهذا تأكيد على أن المرأة قد تمتعت بحقها في ممارسة الحكم أسوة بالرجل ويمكن أن نذكر على سبيل المثال الملكة حتشبسوت في العام ٣٤٥٠ قبل عصرنا، وهي الأخت الكبرى لتحتمس الثالث الكبير ونوفرت ونفرتيتي وكليوباترا الشهيرة وإن كان يقترن اسمها بغير المُلك كالإغواء والاتكال على القادة من الرجال. يطالعنا التاريخ أيضا بقصة «أليسار» الفينيقية الشهيرة وهي ابنة ميتو ملك صور وأخت بجمليون والتي أبحرت متجهة غربا في ما يشبه رحلة فتح الأندلس وحطت أليسا أو ديدون رحالها على شواطئ إفريقيا الشمالية أو ما يعرف اليوم بتونس، حيث استعملت ذكاءها واشترت قطعة أرض بقدر مساحة جلد ثور، حولته بدهائها مساحة مكنتها من إقامة مملكة قرطاجة ...

المرأة اليوم :

اليوم، وفي عصرنا الحاضر، والمقصود به منذ أوائل القرن العشرين، فيمكن الكلام عن قلّة قليلة من النساء اللاتي تمكنّ من الوصول إلى مراكز السلطة ومواقع القرار. سنذكر هنا بعض الأمثلة عن نساء احتللن منصب رئيس دولة أو رئيس حكومة: كأنديرا غاندي (الهند)، غولدا مائير (إسرائيل) وبنازير بوتو (باكستان)، إزابيل بيرون (الأرجنتين) ميغاواتي (إندونيسيا)، خالدة ضيا (بنغلادش)، كويماراتنغا (سيريلانكا)، سلير (تركيا)، غلوريا أرويو (الفيليبين)، ديوغو (موزنبيك)، أرياس (باناما)، مديوربوي (سنغال)، إيران عرفت نائبة لرئيس الجمهورية وتشيلي أخيرا. أما في أوروبا فيمكن أن نذكر مارغريت تاتشر (بريطانيا) ميركل (ألمانيا) إرو هرلم (النروج)، فيدجيس (إيسلاندا)، ماري روبنسن (إيرلندا)، إلين كارل (نوفيل زيلاند) كرسون (فرنسا). في البلدان العربية أسندت بعض الحقائب الوزارية إلى سيدات يمكن أن نذكر العراق، سوريا، السلطة الفلسطينية ولبنان أخيرا. أخيرا، تبقى مادلين أولبرايت وكوندليسا رايس العنصر الأنثوي الذي يشغل السلطة الأهم وذلك بحكم كونهما شغلتا منصب وزارة خارجية أقوى دولة في العالم .

سبب الإجحاف بحق المرأة :

إن الإجحاف بحق المرأة وما عانت وتعاني منه من تمييز وعدم إنصاف يجعلنا نتساءل عن سبب ذلك، والجواب حسب تقديرنا هو بيولوجي وهذا ما أثبته العلم، فكون المرأة أضعف بنية من الرجل في التكوين قد مكن هذا الأخير من التحكم بها ومن الاستئثار بالسلطة فهو من كان يوفر لها حاجاتها الاقتصادية والأمنية، وكان بالمقابل يستعبدها ويستبد بها حتى أتت الأديان والتعاليم الأخلاقية لتحد من هذه الوضعية غير أن ذلك لا يعني أن الرجل قد جعل من المرأة شريكة فعلية له وتقاسم معها الأعباء والمسؤوليات الحياتية الخاصة والعامة بل جل ما في الأمر أنه أعطى المسألة بعداً إنسانيا وعاطفيا فجعلها في أحسن الأحوال لعبته وفي أسوئها كان يستحوذ على عقله الاستخفاف بها وعدم الإيمان بقدرتها خاصة في ما يتعلق بالأمور العامة سواء كانت اقتصادية أو إدارية أو قضائية فكيف إذا كانت سياسية وتقريرية وفي ذلك ما فيه من عنجهية وعلو وأمر وتحكم بمصير البلاد والعباد؟

في النهاية، لا بد من التأكيد على أن إدارة شؤون الناس هي مسألة غاية في الأهمية وهي تلقي على عاتق من يتولاها مسؤوليات جساما لذلك لا بد لمن تتوفر فيه المؤهلات المطلوبة للقيادة من أن يفعل ما من شأنه أن يمكنه من إنجاز مهماته تجاه من يتولى أمرهم بكل تجرد وإخلاص وحكمة ولا يبتغي من وراء عمله إلا خير العامة وتوفير العدالة بكل أبعادها، ولا فرق عندها سواء كان من يقوم بذلك رجلا أم امرأة فكلاهما صنيعة الله الذي لا يخطئ .

وجوب تغيير موقع المرأة ودورها مع تغير ظروف الحياة :

اليوم، حين بدأ الفكر يحل محل القوة، وحين حلت الآلة محل الإنسان في تأدية الأعمال الصعبة وحتى الهينة وحين أصبح العلم هو الأساس في تحديد القدرة على الإنتاج، فلا بد من إعادة النظر في كل الوضعية التي تعاني منها المرأة لتمكينها من الإمساك بزمام الأمور على قدم المساواة مع الرجل ولا يؤخذ للتمييز بينهما إلا بما يتعلق بدرجة الكفاءة والقدرة على تنفيذ العمل وإنجازه بشكل متقن. إن المرأة الدمية لا تصلح في كل الأزمنة وكل الأمكنة، وهنا لا بد من لفت الانتباه إلى أن ما تعاني منه المرأة اليوم أينما كانت يعود في الجزء الأكبر منه للعادات السائدة وفي جزء آخر لا بأس به للمرأة نفسها، فكثير من النساء يفضلن عدم تعاطي السياسة والشأن العام وأكثر من ذلك فإنهن يفضّلن على أنفسهن أزواجهن وأولادهن وإخوتهن .

مستلزمات هذا التغيير :

إن تمكين المرأة من ممارسة السياسة وتبوّء مراكز السلطة والاشتراك في صياغة القرارات الوطنية يجب أن يرتكز على مسلمات عديدة أهمها :

1– في التشريع: ويتمثل بإلغاء كل النصوص التي تميز بين الرجل والمرأة بشكل يحرمها من حقها في المشاركة في صنع القرار ووضع تشريعات لسدّ الفراغ في ما يتعلق بحقوق المرأة بحيث تتبنى الدول نصوص الاتفاقية الدولية حول منع التمييز ضد المرأة .

2ـ في التطبيق حيث إنه يجب ألا تبقى التشريعات التي تحفظ حقوق المرأة، حبرا على ورق بل يجب أن توضع موضع التنفيذ بكل جدية .

3ـ في التربية والتعليم في كل مراحله، بحيث يتم تربية أجيال تقتنع بعدم وجود فوارق فكرية وعقلية بين الرجل والمرأة وبقدرة هذه الأخيرة على المشاركة في صنع السياسات العامة التي تؤثر في مصير الأوطان. يمكن إدخال مواد في مختلف الاختصاصات تبين عدم وجود فوارق على مستوى الفكر والمنطق والطاقات كما يمكن إدخال التشريعات اللازمة لسد الثغرات في القوانين لتدرس في كليات الحقوق والعلوم السياسية كما يجب أن يواكب ذلك تفعيل لأجيال الجامعات في مجال المطالبة بالمساواة الحقيقية بين جميع المواطنين بمن فيهم المرأة .

4ـ لا بد من الموضوعية وعدم التطرف بالمواقف فيجب على الرجل أن يقرّ للمرأة بحقوقها وقدراتها ويجب على المرأة أن تفهم أن ممارسة حقوقها هي ممارسة بالحقيقة لواجبات قصرت بالمطالبة بها وأن مشاركتها مع الرجل تهدف إلى تصويب الأمور والتعاون معه في سبيل تفعيل المجتمع والإدارة وممارسة السلطة لما فيه مصلحة جميع المواطنين ولا يرمي إلى تقاسم النفوذ والمصالح الخاصة على حساب الوطن والمواطنين .

5ـ لا يجوز تحميل الأديان وزر ما عانت وتعاني منه المرأة فإن إعطاء تفسير مغلوط للنصوص الدينية لا يخدم قضية المرأة لأن ذلك يجعل المستفيدين من الوضعية القائمة يستمرون بأخذ الدين كمبرر لعدم منح المرأة حقوقها ونحن نعلم أننا شعوب لا تزال تتأثر بمواقف رجال الدين .

6ـ إذا كان لا بد من مرحلة انتقالية فلا بأس من أن ترضى المرأة بكوتا في المجالس النيابية تمهيدا للمساواة الكاملة في اتخاذ القرارات الوطنية وإدارة الدولة وبنائها وتطويرها .

أجزاء من نص أطول

)*) أستاذة جامعية

إقرأ لنفس الكاتب